سلسلة البحوث الدينية

يسوع المسيح إنسانيته ولاهوته

عادل لبيب

فهد حبيب

يسوع المسيح
إنسانيته ولاهوته

عادل ليبيو

بقلم

فهد حبيب



(طبعة ثانية)

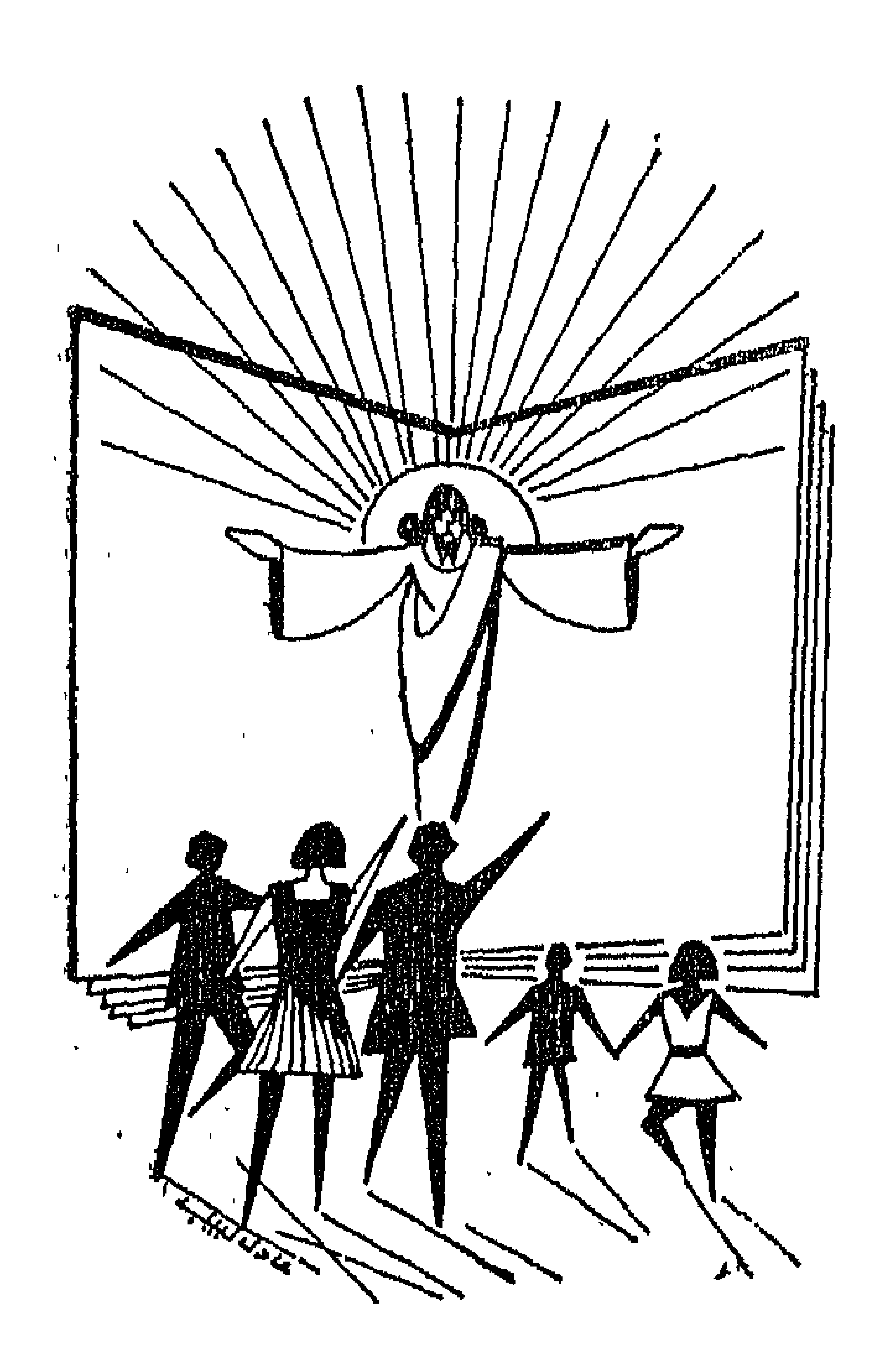
صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ ـ القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٣٢٥٧ / ١٩٧٩

الترقيم الدولى بدار الكتب ٦ ـ ٤٥ ـ ٧٢٣٧

طبع بالمطبعة التجارية الحديثة

المسيح مركز الكتاب وقلبه



يتكلم العهد برموزه ونبواته عن يسوع مشتهى كل الأمم .

وتتكلم البشائر عن تاريخه فى الجسد من مولده حتى قيامته معلنة بذلك إتمام الخلاص بواسطته .

وتتكلم الرسائل عن التعاليم المؤسسة على شخصه والرجاء المنبعث عن الإيمان به .

ويتكلم سفر الرؤيا عن إخضاع كل شىء تحت قدميه فيكافىء محبيه ويصب جامات غضبه على مقاوميه .

من هنا يتبين لنا أن كل الكتاب مكتوب لكى نؤمن ونفهم ونعرف ونحب ونتبع هذا الشخص وهو يسوع ابن الله الحى مركز وقلب الكتاب . هو مركز وقلب التاريخ . هو مركز وقلب الكنيسة . هو مركز وقلب الحياة . هو الشخصية الخالدة وهو الموضوع الجوهرى وهو المحك الفاصل الحاسم ، إذ يتعين مصيرنا الابدى على أساس موقفنا منه من قبول أو رفض ، ويتقرر نوال المجد الابدى أو الشقاء الابدى على أساس الإيمان به أو إنكاره فتحدد سعادة السماء أو تعاسة جهنم على أساس تعاملنا معه من محبة أو بغضة : كيف تطاق الحياة بدون الإيمان به ؟ وكيف نواجه الموت بدون الرجاء فيه ؟ بدونه لا لذة للحياة ولا سلام عند الموت .

أسمى ما فى الحياة هو إحساسنا بأننا نحيا له . ونشهد عنه ونتعب ونشتغل لأجله أسمى ما فى المستقبل هو أن نتقابل معه فنراه بالعيان فنقول بنغمة الفرح « هو ذا النصف لم أخبر به » .

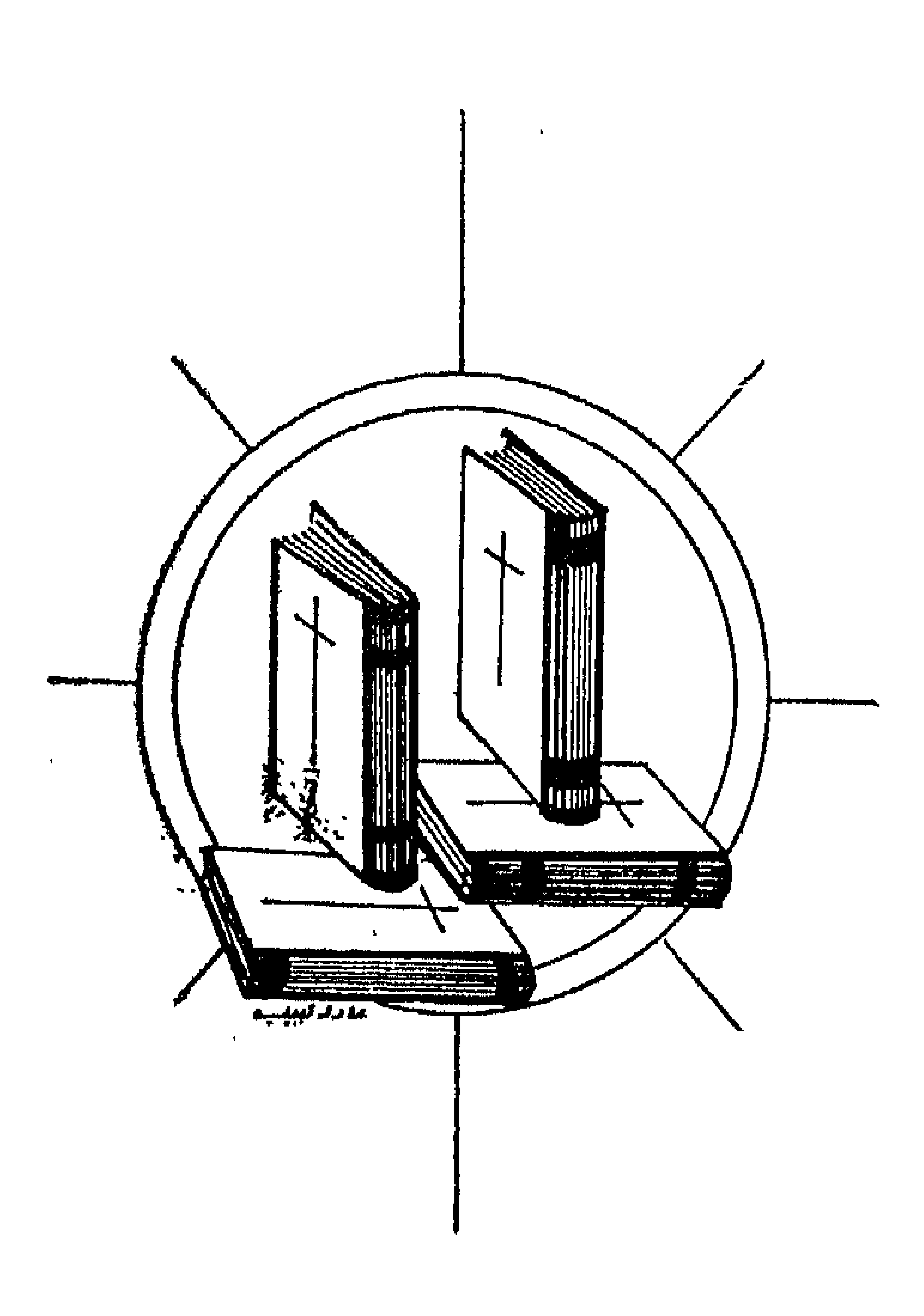
ما هى لمحة عابرة قدمناها عن أهمية شخصيته ، تقودنا لأن نبين مركزه فى كل سفر من أسفار الكتاب :

فنراه فى سفر التكوين	:	الشخص الذى به كان كل شىء .
فى سفر الخروج	:	المحرر الذى يطلق شعبه من ذل العبودية .
اللاويين	:	هو الذى يقربنا إلى الله .
العـــدد	:	هو الذى يقودنا فى برية غربتنا .
فى التثنية	:	هو الذى نجلس عند قدميه لكى يعلمنا .
فى يشوع	:	هو الذى يقودنا فى جهادنا ضد أجناد الشر الروحية فى السماويات .
فى قضاة	:	هو القاضى الذى يردنا من ضلالنا .
فى راعوث	:	هو ولينا الغنى الذى يفكنا أو يفدينا .
فى صموئيل	:	هو الملك المحارب ، كما فى داود وملك .
والملوك والأخبار	:	السلام ، كما فى سليمان .
فى عزرا ونحميا	:	رجوع الشعب المسبى إعداداً لمجيئه .
فى أستير	:	إنقاذ الشعب الذى سيولد منه .

فى أيوب	:	مرموز إليه بأليهو الذى يعلن فكر الله
« المزامير	:	عواطف المسيح الباطنية فى مختلف الأحوال
« الأمثال	:	المسيح حكمة الله
« جامعة	:	لا سعادة فى عالم أفسدته الخطية بدونه
« النشيد	:	المسيح عريسنا
« إشعياء	:	الخلاص بالمسيح
« إرميا	:	المسيح المنذر
« الأنبياء الصغار	:	مملكته السعيدة المرتقبة
نراه فى متى	:	يسوع المسيا
« « مرقس	:	يسوع الخادم
« « لوقا	:	يسوع ابن الانسان
« « يوحنا	:	يسوع ابن الله
« « الأعمال	:	مرسل الروح القدس
« « رومية	:	متبررين فى المسيح (٤ : ٢٤)
« « كورنثوس الأولى	:	التقديس فى المسيح (١ : ٢)
« « كورنثوس الثانية	:	دفاعنا فى المسيح (١٢ : ١٩)
« « غلاطية	:	حريتنا فى المسيح (٢ : ٤)
« « أفسس	:	رفعتنا فى المسيح (٢ : ٦)

فى فيلبى : فرحنا فى المسيح (٥ : ١٠)
« كولوسى : كمالنا فى المسيح (٢ : ٩ و ١٠)
« تسالونيكى الأولى : انتظارنا فى المسيح (١ : ٣)
« تسالونيكى الثانية : مجدنا فى المسيح (١ : ١٢)
« تيموثاوس الأولى : الأمانة فى المسيح (١ : ١٨)
« تيموثاوس الثانية : انتصارنا فى المسيح (٤ : ٦ - ٨)
« تيطس : القدوة فى المسيح (٢ : ٧)
« فليمون : الاحسان فى المسيح (١٥ و ١٦)
« عبرانيين : الأفضلية فى المسيح (١ : ٤ ، ٧ : ١٩ ، ٨ : ٦ الخ)
« يعقوب : نعمل بكلمته (١ : ٢٢ و ٢٣)
« بطرس الأولى : نقتفى آثاره (٢ : ٢١ - ٢٣)
« بطرس الثانية : بمعرفته ننمو فى النعمة (٣ : ١٨)
« يوحنا الأولى : المسيح النور والمحبة والحياة (٢ : ٢٨)
« يوحنا الثانية : الإخلاص له (٢ - ٧)
« يوحنا الثالثة : الكرم لأجله (٥)
« يهوذا : نحفظ أنفسنا فى محبته (٢١)
« الرؤيا : إنجازه لكل شىء

أربعة أناجيل



لماذا كانت الأناجيل أربعة ؟ للجواب على هذا نقول إن الإعلان عنه ، والتاريخ أو الظروف التى أحاطت به كانا يتطلبان أربعة .

(١) فبالنسبة للإعلان

أعلن الكتاب المقدس المسيح فى أربعة مظاهر - رسمياً كملك وكعبد ، وشخصياً كانسان وإله ، والنبوة تعلنه لنا فى هذه المظاهر الأربعة :

فى زك ٩ : ٩	هو ذا ملك
فى أش ٤٢ : ١	هو ذا عبدى
فى زك ٦ : ١٢	هو ذا الرجل
فى أش ٤٠ : ٩	هو ذا إلهك

وهذه هى مظاهر المسيح الأربعة المعلنة فى الأناجيل الأربعة . فهو ملك فى متى وخادم فى مرقس وإنسان فى لوقا وإله فى يوحنا . ومجموعة ثانية من النبوات تعلن هـــذه الحقيقة أيضاً أى إعلان المسيح فى أربعة مظاهر :

فى إر ٢٣ : ٥	وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك

وفى زك ٣ : ٨ هأنذا آتى بعبدى الغصن
وفى زك ٦ : ١٢ هوذا الرجل الغصن اسمه
وفى أش ٤ : ٢ يكون غصن الرب بهاءً ومجداً

فهنا أيضاً الأربع نبوات التى تشير إلى المسيح كغصن تتكلم عنه كملك وكخادم وكانسان وكإله وهذا ما تظهره الأناجيل معاً.

(٢) بالنسبة للتاريخ

فى وقت مجىء المسيح كانت هناك ثلاثة أجناس بشرية : اليهود والرومان واليونان . وقد جاء المسيح لكى يصل إلى عمق حاجة كل هذه الأجناس عن طريق الأناجيل المختلفة ، فمتى يتكلم لليهود ومرقس للرومان ولوقا لليونان ، والكنيسة التى تكونت من هذه الأمم يكلمها يوحنا .

إنجيل واحد ما كان يكفى بل الكل معاً يبينون جمال المسيح من وجوه متعددة ، والجدول المقدم لك يظهر وجوب البشائر الأربع ، والتقابل بينها يوضح أهمية كل منها ووجهة نظره .

	لمن كتب	لكى يثبت	الصفة العامة	المادة الغالبة	الفكرة الرئيسية	الكلمة البارزة	التشبيه
متى	لليهود	يسوع المسيا	دينى	عظات	الملك	يتم	الأسد الخارج من سبط يهوذا
مرقس	للرومان	يسوع القدير	عملى	معجزات	القوة	للوقت	ثور أى العامل
لوقا	لليونانيين	يسوع الانسان	تاريخى	أمثـــال	ابن الانسان	تحنن	رجل أى العطف
يوحنا	للمسيحيين	يسوع مخلص العالم	روحى	أحاديث مع تلاميذه	ابن الله	يؤمن	نسر أى مصدره

البشائر الثلاثة الأولى متى ومرقس ولوقا تقدم شخصية المسيح وعمله من الوجهة الخارجية الأرضية، بينما يوحنا يقدمه لنا من الوجهة الداخلية السماوية .

وجدير بنا لزيادة الإيضاح أن نلقى نظرة على كل إنجيل على حدة ولنبدأ بانجيل

متى

فنجد أن هذا الإنجيل يقدم لنا بصفة خاصة المسيح كالمسيا ابن داود . ولهذا يرجع بسلسلة نسبه إلى داود إثباتاً لحقه الشرعى فى وراثة الملك ، ثم يمتد بها إلى ابراهيم مستودع المواعيد لشعبه ، وهو الوحيد بين الأناجيل الذى يذكر لنا موضوع المجوس وسؤالهم « أين هو المولود ملك اليهود » ؟ أضف إلى ذلك كثرة الشواهد التى اقتبسها من العهد القديم حتى بلغت ٥٦ شاهداً ، إبتغى من ذكرها أن يثبت لليهود الذين كتبت لهم أن المسيح هو مسياهم المنتظر ، ملكهم الموعود به فى النبوات .

والأسلوب الذى نهج عليه متى فى كتابة إنجيله هو الأسلوب الدينى الذى يتفق مع الشعب المتدين الذى كتب له ، والكلمة التى تميزه هى « يتم » . وإذا ربطنا بين الأناجيل وبين الكاروبيم، يكون متى هو « الأسد » .

مرقس

يقدم لنا هـــذا الإنجيل المسيح « بصفة خاصة » باعتباره الخادم الأمين أو النبى الخاضع . ويتبين لنا هذا بصورة جلية من

مواضيع كثيرة . منها انه لا يذكر لنا شيئاً عن سلسلة نسب المسيح أسوة بالكثيرين من أنبياء وخدام العهد القديم الذين شاء الرب أن يخفى أنسابهم وإن ظهرت خدماتهم . كما أن الكلمة التى شاع استعمالها فى هذا الإنجيل هى « للوقت » التى ذكرت فيه اثنتين وأربعين مرة ، رغبة منه أن يظهر المسيح فى صورة الخادم الدائم فى المشغولية بعمل الله . من ثم فهو الوحيد الذى يذكر هذا القول « لم يتيسر لهم فرصة للأكل » (٦ : ٣١ ، ٣ : ٢) .

ومن الملاحظ أن المسيح عندما تكلم عن ساعة مجيئه التى لا يعلم بموعدها أحد انفرد مرقس بذكر أن الابن لا يعلم بها « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب » (١٣ : ٣٢) وهذا يتفق مع صورة المسيح المعلنة فى هذا الإنجيل . خادم و « والعبد لا يعلم ما يعمل سيده » (يو ١٥ : ١٥) ولا يغرب عن بالنا أن المسيح كابن يعرف كل شىء ولا يخفى عنه شىء .

والأسلوب الواضح فى مرقس هو الأسلوب العملى ، ولذا يغلب عليه طابع المعجزات . والصورة التى تتفق بينه وبين الكاروبيم صورة « العجل » التاعب لأجل الآخرين .

لوقا

يصور لنا هذا الإنجيل المسيح كابن الإنسان ولهذا لا يكتفى بأن يصل بنسبه إلى داود وابرهيم كما فعل متى ، بل يمتد به إلى آدم الإنسان الأول . وباعتباره ابن الإنسان جاء يقدم الإنسان عامة . من أجل ذلك لا نرى خدمته محدودة بين اليهود كما هو مصور فى متى بل خارجة للجميع . فبينما وقف متى عند اقتباس (أش ٤٠ : ٣ – ٥) عند عبارة « اصنعوا سبله مستقيمة » ، نجد أن لوقا يمتد إلى عبارة « ويبصر كل بشر خلاص الله » الأمر الذى يتفق فى غرضه وهو خـــدمة الجميع – اليهودى أولا ثم اليونانى . ولنفس السبب نجد أنه عند إرسالية التلاميذ للكرازة يذكر متى قول المسيح لهم « إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا » بينما تختفى هذه العبارة من إنجيل لوقا .

والمـادة التى تغلب على إنجيل لوقا هى الأمثال لا سيما تلك التى تتكلم عن النعمة والمحبة . فليس فى غير لوقا نجد مثل السامرى الصالح الذى تتمثل فيه النعمة التى تحنو على الإنسان بغض النظر عن جنسه واستحقاقه إذ لا نتساءل: « من هو قريبى » ، أو أمثـال المحبة الواردة فى ص ١٥ – الكلمة الشائعة فى لوقا هى

« تحنن » فهو الإنسان الكامل المفعم بعواطف الحنان والشفقة التي تعطف على الجميع . والرابطة التي تقرن بينه وبين الكارزين هي وجه إنسان .

يوحنـــا

يعرض لنا هذا الإنجيل المسيح كابن الله . فافتتاحيته العجيبة التي لا نظير لها بين الأناجيل الأخرى تخلو من كل نسب وتاريخ . فهو الذي « كان في البدء عند الله » ، لا بداءة أيام ولا نهاية حياة . بل هو الكلمة الذي كان عند الله وكان الكلمة الله . بل أنه هو الذي كون العالم به وإن لم يعرفه العالم . على أن الكلمة الذي كان عند الله في ملء الزمان صار جسداً وحل بيننا .

ولهذا تكون في يوحنا إشارات المسيح إلى نفسه كالرب « أنا هو » . فهل نقرأ في انجيل آخر القول « أنا هو الطريق والحق والحياة » أو « هو القيامة والحياة » .

الوحيد الذي لا يذكر لنا جهاده في البستان إذ أن ذلك من خاصياته كإنسان وينفرد بذكر أنهم لمـــا أتوا للقبض عليه ، « رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » ، أمام سؤاله ـ لأن ذلك يتفق مع هدفه وهو إظهار المسيح في جلال شخصيته كابن الله الوحيد .

ولا يضع يوحنا أمامه أمة معينة بل الكنيسة العامة ، فيقدم لها المسيح ابن الله مخلص العالم . والمادة التى تغلب عليه هى أحاديثه مع تلاميذه . فما أجمل هذه الجلسات التى قضاها معهم على انفراد يفصح لهم عما فى قلبه . مثال ذلك ما حدث فى الليلة الأخيرة فتكلم معهم (ص ١٤ - ٢٦) ولاحظ أيضاً صلاته (ص ١٧) التى لم ترد فى مكان آخر .

والكلمة التى تميز بها هى « يؤمن » إذ كان هدفه من الكتابة أن يؤمن الناس بأن المسيح هو ابن الله .

ولا يفوتنا أن نذكر أن اختصاص إنجيل بصورة من صور المسيح معناه اختفاء باقى الصور منه . بل معناه أن هذا الإنجيل يتكلم عن هـــذه الصورة بصفة خاصة أكثر من غيره ، والصور الأخرى تورد أيضاً فيه بطريقة عامة .

أنسانية المسيح



كان المسيح فى نهاية عهد وبداية عهد آخر . شهد يهودية العهد القديم فى نهايتها ومسيحية العهد الجديد فى بدايتها . والمسيح متمم الأولى (أع ٥ : ٤٢ ، ٨ : ٣٥) ، (١ بط ١ : ١٠ - ١٢ ؛ لو ٢٤ : ٢٦ - ٢٧ ، يو ٥ : ٣٩ و ٤٦) ومؤسس الثانية (غل ٤ : ٤ ، عب ١ : ١ و ٢) .

من الحقائق الثابتة أن المسيح كان أولا إنساناً وثانياً إلهاً . بشريته تربطه بالبشر ، ولاهوته يربطه بالله . ولهذا كان هو الله الإنسان يقدم الله للإنسان ويقرب الإنسان لله .

وهاتان الحقيقتان تكوّنان سر شخصيته . وهما ثابتتان ، لا تتأثران بإدراكنا المحدود عن «كيف تجتمع الطبيعتان فى واحد؟» وإنسانية المسيح موجودة بكثرة فى الكتاب وقد أعلنها الوحى لنا والشىء الأول الذى يجب أن نفهمه عن هذه الحقيقة هو :

١ — بشرية المسيح حقيقية

وهذه بدورها معلنة لنا بوضوح فى مواضع كثيرة من كلمة الله . فقيل عنه « الإنسان يسوع المسيح » (١ تى ٢ : ٥) وتسمى ٧٧ مرة « ابن الانسان » (لو ١٩ : ١٠) حتى بعد صعوده إلى المجد (أع ٧ : ٥٥) مع كونه الكلمة الأزلى إلا أنه « صار جسداً » (يو ١ : ١٤) ، وقد أكد بنفسه حقيقة بشريته بعد القيامة فقال

« أنظروا يدىَّ ورجلىَّ . أنا هو . جسونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترونى » (لو ٢٤:٣٩) وقال لتوما « هات أصبعك إلى هنا وابصر يدىَّ وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً (يو ٢٠ : ٢٧)۔ وقد تأكدت لنا حقيقة بشرية المسيح من الأمور التالية :

١ ـــ حياة المسيح الجسدية :

ولد فى العالم . وكان طفلا يعتمد كل الاعتماد على أمه (لو ٢:٧) كان خاضعاً للسلطان العائلى (لو ٢: ٥١) نما فى القامة (لو ٢: ٥٢) جاع وأكل (مت ٢١ : ١٨) عطش وشرب (يو ١٩ : ٢٨) اشتغل واجهد (يو ٤ : ٦) بينما الله لا يعيا ولا يكل (أش ٤ : ٢٨) .

أحس بالحاجة إلى الراحة ونام (مت٨ : ٢٤) بينما الله لا ينعس ولا ينام (مز ١٢١ : ٤ ، ٥) .

تعلم حرفة ومارسها ١٨ سنة . عانى جسده الإعياء والألم . وأخيراً مات (١ كو ١٥ : ٣) وكل هذه الاشياء لا يمكن أن تتم إلا إذا كان إنساناً حقيقياً .

٢ ـــ حياة المسيح الاجتماعية :

يظهر لنا الكتاب أن المسيح كان يعيش حياة اجتماعية عادية فهو فرد من أفراد عائلته له أم وأخـــوات (مت ١٢ : ٤٦)

حضر عرساً (يو ٢ : ٢) وقبل دعوات لتناول الطعام (مت ٩ : ١٠) . كان له أصدقاء خصوصيون مثل مرثا ومريم ولعازر (يو ١١ : ١ ، ١٢ : ١) احتاج للرفقة ووجدها فى جماعة التلاميذ وفى النساء اللواتى كن يخدمنه من أموالهن (لو ٨ : ٣) .

٣ — حياة المسيح العاطفية :

الإنسان يسوع اجتاز فى اختبارات الفرح والحزن . وبدت عليه علامات الدهشة والعجب . ولم يكن غريباً عن المحبة والغضب والثورة والعطف .

احتاج هو للمواساة وشعر بألم الخيبة مرات . بكى أكثر من مرة كانت له غيرة ملتهبة .

٤ — حياة المسيح العقلية :

لا يمكن أن نطبق الصفات السابقة عن الله ، كما أنه لا يمكن أيضاً أن ينطبق ما يقال عن حياة المسيح العقلية على الله . فقيل عنه ـ كان ينمو فى الحكمة (لو ٢ : ٥٢) . وما عرفه كانسان كان قد تعلمه . ذهب إلى المدرسة كأى ولد يهودى . وكان عقله ينمو مثلنا لكن نموه أحسن وأسرع منا بكثير .

كانسان لم يكن عارفاً بكل شىء لأن المعرفة بكل شىء ليست من صفات البشر بل من صفات الله .

سأل أسئلة لكى يحصل على المعلومات ويسلك بمقتضاها . لما سمع يسوع (أن لعازر مريض) مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين (يو ١١ : ٦) . فلما أتى يسوع ، وجد أنه قد صار له أربعة أيام فى القبر . . . فقال أين وضعتموه . . . (يو ١١ : ١٧) فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز (مت ١٥ : ٣٤) فللوقت إلتفت يسوع . . . من لمس ثيابى (مر ٥ : ٣٠) وسأله ما اسمك (مر ٥ : ٩) فسأل أباه كم من الزمان منذ أصابه (مر ٩ : ٢١) وجاء لعله يجد فيها شيئاً (مر ١١ : ٣) .

وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحـــد ولا : . . ولا الإبن . . . (مر ١٣ : ٣٢) دهشة المسيح تبين أن حياته العقلية كانت محدودة ، على أنه من المهم أن نقول إن عقله لم يكن يخضع بأى حال من الأحوال للضلال لأنه لم يتلطخ بالخطية التى تعمى البصيرة . وجود المعرفة الكلية والمعرفة المحدودة فى شخص واحد هو فرع من أسرار التجسد العجيب . حلول الله والإنسان فى شخص واحد ، ولا نستطيع بأية نظرية أن نفسر هذا السر العجيب ونعطيه حقه .

بدون معرفته اللانهائية لم يكن فى الإمكان أن يكون هو ظهور الله وإعلانه ، وبدون معرفته القلبية المحدودة التى يحصـــل

عليها بالأسئلة الاستفسارية . لم يكن فى الإمكان أن نتمتع به كمن هو « مجرب فى كل شىء » ومن ثم كنا نحس أن بشريته يعوزها شىء غير متوفر فيها .

٥ — حياة المسيح الدينية :

هذا الموضوع عميق وصعب لكن فهمه الصحيح يتوقف على إدراكنا للمسيح كإنسان .

أعلن يسوع اعتماده الكلى على الله . وبدون الله لم يكن يفكر ولا يريد بل ولا يستطيع أن يعمل فقال « لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً » (يو ٥:١٩) . . « الآب الحال فىّ هو يعمل ... » .

كانت الصلاة عادته الدائمة التى بها كان ينال للخدمة النصرة الادبية ، وقد تسجلت لنا فى كل الكتاب ٢٥ مناسبة صلى فيها المسيح . منها مر ١ : ٣٥ ، مت ١٤ : ٢٣ ، لو ٢٢ : ٤١ - ٤٥ ، عب ٥ : ٧ . ومن المعلوم أن الله لا يصلى ولا يمكن أن يصلى لأن ليس له من يوجه صلاته نحوه . أما المسيح فصلى لأنه كانسان يرفع صلاة لله . كانسان كان يحصل عن طريق الصلاة على القوة والإرشاد والمعونة .

شىء آخر فى حياته الدينية هو محبته العميقة لله، المحبة التى كانت هى الجو الذى أنجز فيه كل أعماله وصمم فيه كل أفكاره .

٢ ـ بشرية المسيح الكاملة

الحقيقة الأولى وهى بشرية المسيح تنطبق على الجميع ، ولكن الثانية وهى كمال البشرية فلا ينطبق إلا على المسيح وحده .

فى كل التاريخ تقف شخصيته منفردة . فعندما نقرأ عن الشخصيات العظيمة التى هزت التاريخ لابد أن نرى فيها صفات كان أفضل أن لا توجد، ونجد صفات غير موجودة كان يجب أن توجد. أما المسيح فهو الوحيد الذى لا نرى فيه عيباً أو نقصاً .

١ ـ خلوه من الخطية

الإحساس بالخطية ـ وهو يلازم الجميع ـ لم يكن فى المسيح . لم يعتذر عن شىء ولم يتأسف لعمل قد ارتكبه ، ولم يسحب ولم يهذب كلمة كان قد نطق بها . لم يظهر مرة واحدة أى علامات الندم والأسف على فرصة كان قد أضاعها أو أساء استخدامها. لم يبدُ منه إطلاقاً شعور بالذنب . لم يطلب من الآب مرة غفراناً لنفسه ولم يتب ولم يشعر بضمير يشتكى أو يحتج عليه ، ولم يخف من عقاب فى المستقبل ، ولم يحمل فى ذاكرته أبداً آثار جـــراح تدل على ذكريات هزيمة فى الماضى .

فى هذا يظهر الفرق الواضح بينه وبيننا .

٢ ـ جمع فى صورة كاملة كل الصفات المضادة

الجد والفرح (مر ١٠ : ٣٢ ، يو ١٥ : ١١)

فى رحلته الأخيرة لأورشليم كان جاداً جداً لدرجة أخافت تلاميذه مع كونه عند الكلام الأخير معهم فى العلية كرر إعلان فرحه .

الانفرادية والاجتماعية (مر ١ : ٣٥ ، يو ٢ : ١ - ١٠)

فى الصباح الباكر جداً يذهب إلى موضع خلاء منفرداً ، وفى ذات الوقت عندما يُدعى إلى العرس يلبى الدعوة .

السمو والتواضع (يو ١٩ : ٩ و١٠ ، مت ١١ : ٢٩) إحساسه بعظمة شخصيته وجلال مركزه وسمو مقامه يظهر فى حديثه الرصين أمام بيلاطس ، وفى الوقت نفسه عندما تكلم عن نفسه قال «وديع ومتواضع . . . »

العمق والبساطة :

وهذا ينجلى عند مطالعة أمثلة المسيح فهى بسيطة للدرجة التى معها ينجذب اليها أى طفل ويفهمها ، وفى نفس الوقت عميقة حتى تفشل كل محاولة للوصول إلى قرار عمقها ومكنونات معناها . إن هذه الأمثال ستظل إلى أبد الدهور معجزة اللغة . تجتذب العقول اليها وتأسرها بسموها .

الحزم والرقة :

ذلك الذى ألهب الفريسيين بكلماته الحادة (مت ٢٣) هو بعينه الذى قال للمرأة الخاطئة « ولا أنا أدينك » (يو ٨ : ٩) ذاك الذى قال لبطرس « اذهب عنى يا شيطان» (مت ١٦ : ٢٣) وهو بعينه قال من على الصليب للرسول يوحنا (يو ١٩: ٢٧) « هوذا أمك » مسلماً أمه للعناية بها .

النشاط والهدوء :

كان نشاطه المتواصل مدهشاً ، من الشروق إلى الغروب يسافر ويعلم ويمارس أعمال الرحمة ، ومع هـــذا لم يحدث أبداً أنه فقد أعصابه وخرج عن هدوئه من فرط إجهاده وتعبه المتواصلين . كان السلام الداخلى هو حاله الدائم الذى لا ينقطع. هذا هو السلام الذى تركه لتلاميذه عند الانطلاق من العالم .

السرعة والدقة :

لا نقرأ قصة المسيح إلا ونشعر بأعماله وأوجه نشاطه العاجلة لا سيما عند اقتراب انتهاء حياته ، وفى نفس الوقت لم يعمل شيئاً باهمال أو يتركه ناقصاً . كان مشغولا جداً . لكن لم ينشغل عن أداء الواجب على أكمل وجه نحو المحتاجين اليه .

لم تكن عنده أوجه قوة إذ لم تكن فيه أوجه ضعف . كل منا

له ضعفات ونقائص ومبالغات ، أما يسوع فلم يكن فيه هكذا لأنه كامل. الذى كان يشبهنا فى كثير ، انفصل عنا فى الكثير أيضاً .

أظهر لنا أن صلته بالله كانت صلة خاصة بينهما. فقد أظهر انفراده عن البشر إذ لم يدرج نفسه معهم فى الصلاة التى علمها لتلاميذه. لم يقل فى مرة « أبانا » أو « إلهنا » بل قال « أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يو ٢٠ : ١٧) .

إن الاعتقاد بانسانية المسيح لهو جوهرى وحيوى فى نظر الإيمان المسيحى، فمن يؤمن بها يؤمن بأن الله قد جاء الينا تاريخياً. ومن يؤمن بها يستطيع أن يؤمن فى إمكانية وواقعية الكفارة ، ومن يؤمن بها يؤمن - أنه باستثناء الخطية - أن المسيح واحد منا وواحد معنا « مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية» (عب ٤ : ١٥) و « فى ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين» (عب ٢ : ١٨).

وعلى هذا فالإيمان بتجسد المسيح علامة من علامات أننا من الله . أما وقد انعكست هذه الحقيقة وهى بشرية المسيح أو بمعنى آخر تجسده فإن ذلك دلالة على أنه صاحب هذه الفكرة وضد المسيح . « بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله - وكل - روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله . وهـــذا

هو روح ضـــد المسيح الذى سمعتم أنه يأتى والآن هو فى العالم »
(١ يو ٤ : ٢ و ٣).

والآن لنسأل هذا السؤال : لماذا نؤمن أن تجسده الإلهى أمر معقول ؟ كيف يتجسد الله نفسه ؟ (وكيف يصير إنساناً ؟) هل هذا يطابق العقل ويتمشى مع المنطق ؟ نعم . ويتأكد لنا ذلك مما يأتى :

(١) الإله المتجسد هو الوسيلة الوحيدة للتكفير عن الخطية :

إن الحاجز الذى يفصل بين الله والإنسان هو الخطية « آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع » (أش ٥٩ : ٢) والتوبة مع أهميتها لا تكفى للتكفير عن الخطية « لأن أجرة الخطية موت » (رو ٦ : ٢٣) . ليست توبة بل موتاً وإدانة . لا يوجد من البشر من هو كفء التكفير عن الخطية باعتبار أن البشر جميعاً وبلا استثناء خطاة « كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه » (أش ٥٣ : ٦) . كان لزاماً على الله أن يموت عن الخطية نيابة عن الإنسان إن أراد التكفير وهو بلا شك مريد . وكيف يموت الله ؟ وهو المكتوب عنه « له وحده عدم الموت » (١ تى ٦ : ١٦) . فجاء تجسد المسيح

باباً وحيداً يقود لموته ومخرجاً لا ثانى له يؤدى للتكفير عن الخطية ، فتم القول « لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين هم تحت الناموس لننال التبنى » (غل ٤ : ٤ - ٥) . « فاذ تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك . هو أيضاً فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب٢:١٤-١٦).

(٢) الإله المتجسد يعلن الله بطريقة أكثر تأثيراً من أى إعلان آخر :

وإن كان الاعتقاد بمحبة الله لخلائقه سائداً بين الجميع . . إلا أن نظام الكون يحوى فى طياته أموراً تناقض حسب الظاهر هذا الاعتقاد . ولهذا كانت الحاجة ماسة وملحة لإعلان خاص يؤكد محبة الله إذ تجتاح العالم زلازل مروعة وتفاجىء الناس براكين ثائرة ، وتعج حولهم فيضانات مهلكة ، وتنتشر من وقت لآخر أوبئة تهاجمهم بجحافل جراثيمها الفتاكة . وكل هذه تصيب الخاطىء والقديس على حد سواء . فتبدو الطبيعة بأوضاعها هذه قوة عميـــاء لا تقاوَم ، تنطلق للتخريب والتدمير، غير مبالية

بالاحتياجات البشرية وغير مكترثة بالدموع التى تذرف وبالأنات التى تنبعث من المصابين . ومن ثم كانت الحاجة فى الإعلان الإلهى الذى يوضع لإقناع البشر بمحبة الله إلى رسالة عملية ملموسة وليست كلامية ، تبين أن الطبيعة هذه يحكمها ويخضعها كائن محب للبشر عطوف عليهم يهتم باحتياجاتهم ، وينصت لطلبة كل فرد منهم . وهذا الإعلان قدمه الله فى التجسد . فلم يبعث برسالة من السماء تعلن صداقة الله للإنسان ، بل أرسل ابنه ليعيش حياة بشرية عادية ليصارع كباقى الناس ضد الخطية ، وليعانى الآلام والأتعاب والمشقة البشرية ثم فى النهاية يموت . لقد أظهر الله فى المسيح مواساته للبشر فى الآلام بالتألم معهم « فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله - فله نتمسك بالأقدار ، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا ، بل مجرب فى كل شيء مثلنا بلا خطية » (عب ٤ : ١٤ - ١٥) . لكن المحبة الإلهية التى ظهرت فى المسيح لم تقتصر عند حد الألم مع المتألمين ، بل قامت بدور عملى لإزالة هذه الآلام ، إذ جال يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس (أع ١ : ٣٨) فأعاد العقل للمجانين ورد نعمة البصر للمكفوفين ووهب الصحة للمفلوجين وأخرج الموتى من قبورهم أحياء . وفى كل معجزة من معجزاته

هذه التى لا تقع تحت حصر كان يقصد بها إقناع الناس بأن الله الذى جاء لكى يظهر طبيعته هو بحق إله محب للبشر شفوق عليهم .

(٣) التجسد هو الوسيلة لكى يكون المسيح شفيعاً لأجلنا :

تجسد المسيح وصار رأس الجنس البشرى لمن يؤمن به. ثم مات على الصليب . وبحق موته دخل إلى الأقداس الحقيقية فى السماء فى جسم بشرى لكى يقوم مقامنا هناك ، ويشفع فينا ولأجلنا، وتم فيه القول « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح » (١ تى ٢ : ٥) . من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شىء لكى يكون رحيما ورئيس كهنة أميناً فى ما لله حتى يكفر خطايا الشعب (عب ٢ : ١٧) « فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) .

(٤) تجسد المسيح هو أساس الحياة المقدسة :

جبل الرب الإله آدم وصار آدم رأس الجنس البشرى . وسقط آدم وسقط فيه كل البشر وورثنا عنه بحكم الميلاد من سلالته طبيعة شريرة وكياناً فاسداً وتجسد المسيح فصار بتجسده الذى أدى إلى موته وقيامته رأساً جديداً للجنس البشرى ونرث عنه بالميلاد

الثانى الروحى طبيعة مقدسة وكياناً طاهراً . إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً (٢ كو ٥ : ١٧) وبفضل قوة هذه الطبيعة الجديدة ننال نصرة كاملة على الخطية وعلى كل قوات الظلمة .

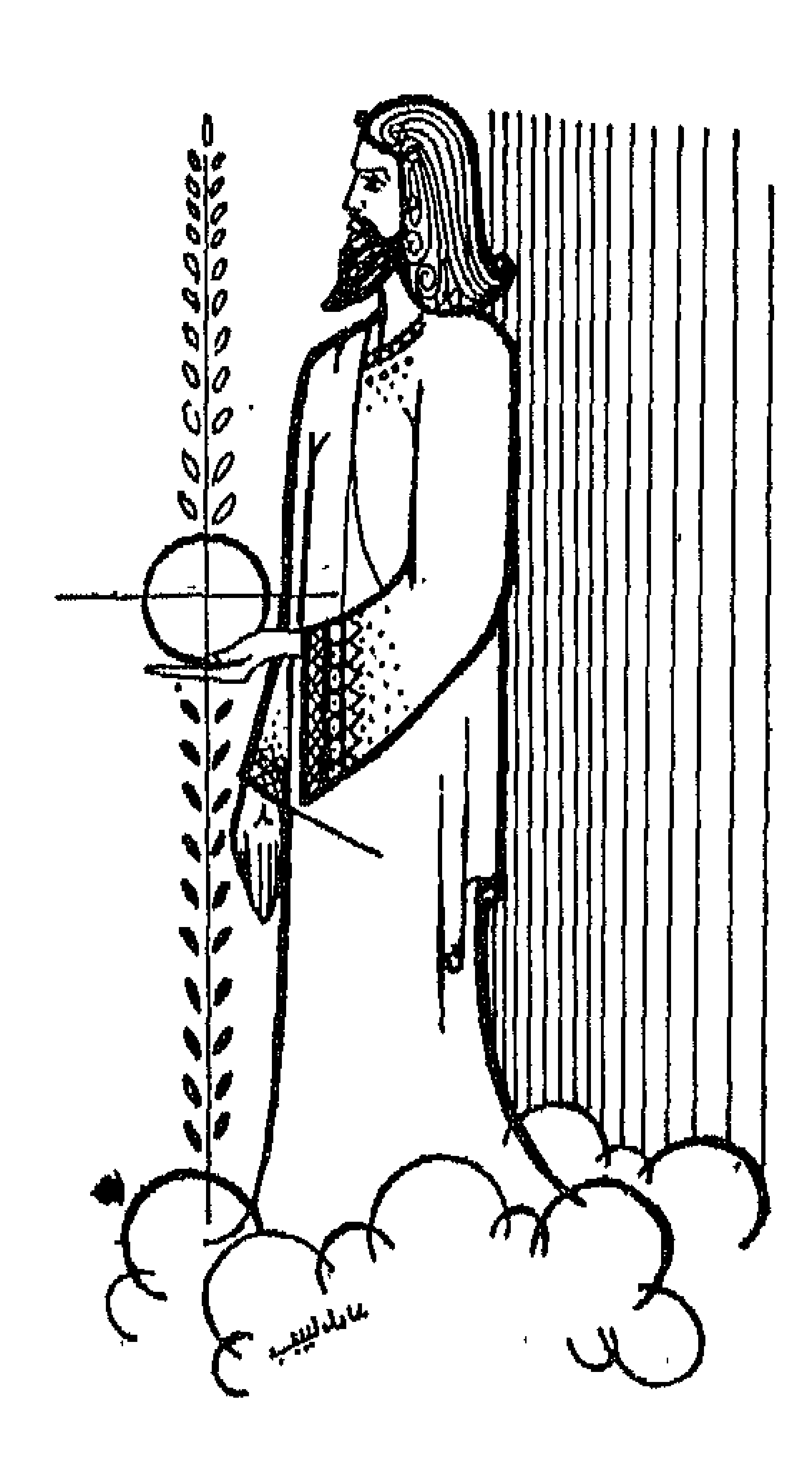
(٥) تجسد المسيح يحقق أسمى غاية للدين وهى الوحدة التامة والامتزاج الكلى بين العابد والمعبود .

عندما تجسد المسيح اجتمعت فيه الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية أى الإنسان والله. وبناء عليه يختبر المؤمن - وهو عضو فى جسد المسيح - الاتحاد بالله بطريقة تسمو عن الوصف والتحديد. وهذا ما أعلنه يسوع فى صلاته الشفاعية حينما قال للآب « ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » (يو ١٧ : ٢١) . وبمقتضى هذه الوحدة المباركة تتدفق الحياة الإلهية من الله للمؤمن فيصير الثانى بحق شريك الطبيعة الإلهية . وإن كانت آثار هذه الوحدة لم تظهر بعد فى كمال جمالها فى هذا العالم إلا أنها ستتصل إلى ذلك يوم أن يأتى المسيح « فنكون مثله لأننا سنراه كما هو » (١ يو ٣ : ٢) .

ذلك اليوم الذى تزول فيه من على بشريتنا كل لطخات الخطية ونتحرر من كل ضعفات العتيق إذ « سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (فى ٣ : ٢١)

(٦) لأنه يتفق مع النظرية الكتابية بأن الإنسان على صورة الله . من المسلم به أن طبيعتى الله والإنسان متماثلتان تماماً . فهبة العقل والتمييز بين الخير والشر وحرية الإرادة والرغبة فى القداسة والشوق الفطرى للوصول لله الذى يتصبح من قلوب الجميع حتى من القبائل البدائية ليدل على الترابط الروحى الكائن بين الخالق وخلائقه . حقاً إن طبيعة الله وشخصيته قد أظهرتا إلى حد ما بواسطة أعماله فى الكون المنظور لكنها أظهرتا بصورة أوسع وأدق فى طبيعة الانسان العقلية والروحية ، وعلى هذا فان الانسان هو أدق شيء يقرِّب لنا صورة الله. من ثم كان من المعقول أن الله يختار الطبيعة البشرية (مجردة من الخطية) وسيلة لأوفى وأكمل وآخر إعلان عن شخصه « الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه (عب ١ : ١ - ٢) . فالحياة البشرية التى عاشها على الأرض محاطاً بكل الظروف والصعاب التى تواجه البشر كانت رغم هذا حياة مثالية كاملة هى إعلان أدبى كافٍ كل الكفاية عن الله . كان أحسن بكثير من أن تدون فى كتاب بعض الافتراضات المهمة عن الله .

لاهوت المسيح



إثبات لاهوت المسيح :

١ - ميلاده : أعلن عند ميلاده أنه هو الله « وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد إبناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » (مت ١ : ٢٢ و ٣٣) « فقال اسمعوا يا بيت داود هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهى أيضاً ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (أش ٧ : ١٣ و ١٤) « فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) .

٢ - أعماله : ما هو العمل الذى يقوم الله به ولم يستطع المسيح أن يعمله ؟ فأعماله المعجزية تدل على أنه هو الله « لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى » (يو ١٤ : ١) « صدقونى أنى فى الآب والآب فىَّ وإلا فصدقونى لسبب الأعمال نفسها » (يو ١٤ : ١١) « ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن » (يو ١٤ : ١٣) « لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى » (يو ١٥ : ٢٤) « إن كنت لست أعمل أعمال أبى

فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه » (يو ١٠ : ٣٧ و ٣٨) . أما يوحنا فلما سمع بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر فأجاب يسوع وقال لهما « اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فىّ » (مت ١١ : ٢ - ٦) » فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج « يا ابنى مغفورة لك خطاياك . وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون فى قلوبهم . لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف . من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده » (مر ٢ : ٥ - ٧) « ثم قال لها مغفورة لك خطاياك فابتدأ المتكئون معه يقولون فى أنفسهم من هذا الذى يغفر خطايا أيضاً فقال للمرأة إيمانك قد خلصك اذهبى بسلام » (لو ٧ : ٤٨ - ٥٠) .

٣ - سلوكه الأدبى : حياته الطاهرة التى لا غبار عليها تدل على أنه هو الله . إذ أن كل البشر خطاة وأحسوا بالخطية فاعترفوا بها . فاشعياء يقول « ويل لى أنى هلكت لأنى . . . » (أش ٦ : ٥) وإيليا مكتوب عنه « قام ومضى لأجل نفسه » (١ مل ١٩ : ٣)

وموسى عصى الله فضرب الصخرة بدلا من أن يكلمها ، وقبل ذلك ارتكب أشنع الخطايا وهى القتل (مز ٢ : ١٢) و (عد ٢٠ : ١١) وداود قال « هأنذا بالإثم صورت » (مز ٥١ : ٥) . وبطرس قال « أخرج من سفينتى لأنى رجل خاطىء » (لو ٥ : ٨) . ويوحنا قال « إن قلنا إننا ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يو ١ : ٨) وبولس قال « صادقة هى ... الخطاة الذين أولهم أنا » (١ تى ١ : ١٥) .

أما يسوع فهو الذى استحق أن يُجثى عند قدميه ويقال له « أيها المعلم الصالح » (مر ١٠ : ١٧) ذلك لأنه صالح حقاً ، فقال « مَن منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) ، وأعلن انفراديته بالقداسة المطلقة فى قوله « رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىَّ شىء » (يو ١٤ : ٣٠) . إن كان كل البشر قد « أعوزهم مجد الله » إلا أن يسوع هو الفريد الذى قال وقوله حق « أنا مجدتك على الأرض » (يو ١٧ : ٤) .

ولا نكتفى بشهادة يسوع نفسه عن طهارة سلوكه مع أن شهادته كافية كل الكفاية ، إلا أننا نستشهد بشهادة أولئك الذين عاشوا معه عن قرب ولم يفارقوه إطلاقاً مدة لا تقل عن ثلاث سنوات ، كانت كفيلة لأن تنجلى لها فيهم كل أخلاق المسيح .

أولئك هم التلاميذ . فبطرس يعلن عن كمال قداسة يسوع فيقول « كما من حمل بلا عيب ولا دنس » (١ بط ١ : ١٩) ثم قال : « الذى لم يفعل خطية ولم يكن فى فمه غش » (١ بط ٢ : ٢٢ و ٢٣). ثم « فان المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله » (بط ٣ : ١٨) . واليكم شهادة يوحنا وهو الذى اتكأ فى حضن يسوع وكان أقرب المقربين اليه. إن يوحنا يعلن عن عصمة يسوع فيقول « يسوع المسيح البار (١ يو ٢ : ١) إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه (١ يو ٢ : ٢٩) وتعلمون أن ذاك أظهر لكى يرفع خطايانا وليس فيه خطية » (١ يو ٣ : ٥)

أما بولس فقد أيد غيره من الرسل فى هذه الحقيقة فقال عن يسوع « الذى لم يعرف خطية . . . » (٢ كو ٥ : ٢١) . وكاتب رسالة العبرانيين « بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية » (٤ : ١٥). « قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » (عب ٧ : ٢٦) .

وأكثر من ذلك بأن الخطاة والأشرار إلى جانب المؤمنين قد اعترفوا بكمال المسيح ، فيهوذا مسلمه قال « أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً » (مت ٢٧ : ٣ و ٤) وقال بيلاطس وهو يسأل سؤالا

استنكاريا « وأى شر عمل » (مر ١٥ : ١٤) ثم قال « لم أجد علة فى هذا الإنسان » (لو ٢٣ : ٤ و ١٤ و ٢٢ ويو ١٨ : ٣٨ ، ١٩ : ٤ و ٦ و ١٢) « أنا برىء من دم هذا البار » (مت٢٧:٢٤) وقال عنه أحد اللصين « أما هـــذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله » (لو ٢٣ : ٤١)

٣ - إعلاناته عن نفسه :

إن استرجعنا أقوال يسوع وتعاليمه عن نفسه ندرك أنه نسب لنفسه مركزاً أسمى بكثير مما استطاع أى نبى أو معلم أن ينسبه لنفسه .

فقد حكم عليه بالموت لانه قال عن نفسه إنه ابن الله ، وأنه سيجلس عن يمين الآب ، وأنه سيأتى ثانية لإجراء الدينونة (مر ١٤ : ٦٢)

وعلم أن موته يختلف عن موت كل إنسان فى تأثيره وقيمته . فليس موته موت شهيد بل تتعلق على موته أهمية كبرى لا يمكن أن يتممها فيه أى كائن بشرى . فعلم أن موته فدية عن كثيرين (مر ١٠ : ٤٥) وأنه كفارة عن الخطية وأنه أساس العهد الجديد (مر ١٤ : ٢٤) .

طالب فى تعاليمه بالإيمان به والتكريس لشخصه الحق الذى لا يمكن أن يطالب به سوى الله وحده (لو ١٤: ٢٦، مت ١٠: ١٤، ١٥، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٤٠ و مت ١١ : ٢٨).

فى أمثاله العديدة علم أن له وحده سلطان النطق بالدينونة وتنفيذ الحكم والعقاب (مت ١٣ : ٣٠ و ٤٠-٤٢، مت٢٥: ١٢) وأنه هو الذى يكافىء الخدام الأمناء حسب خدمتهم (مت ٢٥ : ١٤، لو ١٩ : ١٢) له فى فترة غيابه.

من يستطيع أن يعلم عن نفسه هكذا لو لم يكن هو الله نفسه !! لو ادعى لنفسه دون حق هذا المركز لجاز لنا بل وجب علينا أن نتهمه بانتحال شخصية الله واغتصاب مركزه. ولكان المسيح حينئذاك مجرد كذاب خادع. ولكن نحن نعلم والكل يعلم أنه القدوس الصادق، فاذا نسب لنفسه مركز الله فإنه على حق لأنه هو الله.

٤ — ألقابه :

فقد دعى ابن الله « الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن به قد دين. لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » (يو ٣ : ١٨) « ونشهد لكم لكى تسلكوا كما يحق لله الذى دعاكم إلى ملكوته ومجده » (١ تس ٢ : ١٢) « ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا

بصيرة لنعرف الحق » (١ يو ٥ : ٢٠) ، ودعى الله « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك » (مز ٤٥ : ٦، ٧) مع « وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » (عب ١ : ٨، ٩) ، « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) ، « أجاب توما وقال له ربى وإلهى » (يو ٢٠ : ٢٨) ، « احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) ، « وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد تبرر فى الروح تراءى لملائكة كرز به بين الأمم أؤمن به فى العالم رفع فى المجد » (١ تى ٣ : ١٦) .

٥ — صفاته :

(١) أبدىّ : فهو الإله الدائم الوجود فكما أن الله مكتوب عنه « أفرح وأبتهج بك أرنم لاسمك أيها العلى » (مز ٩ : ٢) ، كذلك الابن مكتوب عنه « وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل » (مت ٢ : ٦) ، ألم يقل الكتاب « أنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التى كان داود فيها يأتى المسيح » (يو ٧ : ٤٢) ، « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب ١٣ : ٨) .

لا تظن أن الميلاد كان بدايته مثل كل الناس. كلا فقد كان موجوداً قبل ذلك (١١ كو ١٠ : ٤ ، ٩) بل كان موجوداً قبل الخليقة كلها (كو ١ : ١٧) بل هو الخالق لكل الأشياء (كو ١ : ١٦ و ١٧ ، ١ كو ٨ : ٦) إلا أنه تجسد وصار إنساناً لكى يتم الفداء (غل ٤ : ٤) .

(ب) الحضور فى كل مكان : لا يستطيع إنسان أو ملاك أن يتواجد فى أكثر من مكان فى آن واحد ، أما المسيح فلأنه هو الله قال « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) ، « وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يو ٣ : ١٣) .

(ح) العلم بكل شيء : علمه بكل شيء يدل على أنه هو الله « أجاب يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه » (يو ٣ : ١٩) ، « الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد » (يو ١٦ : ٣٠) ، « قال له ثالثة يا سمعان ابن يونا أتحبنى فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة أتحبنى فقال له يارب أنت تعلم كل شيء أنت تعرف أنى أحبك » (يو ٢١ : ١٧) ، فقال لهم « كما أوصى يسوع فتركوهما فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهم فجلس عليه » (مر ١١ : ٦ - ٨) ، « وأولادها

أقتلهم بالموت فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكلى والقلوب . وسأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله » (رؤ ٢ : ٢٣) .

(ى) القدرة على كل شيء : « أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شيء » (رؤ ١ : ٨) ، « فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » (مت٢٨ : ١٨) ، « ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون فقال أيها الشاب لك أقول قم » (لو ٧ : ١٤) ، « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الإبن أيضاً يحيى من يشاء . لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (يو ٥ : ٢١ - ٢٣) ، « الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء » (فى ٣ : ٢١) .

(هـ) قبوله العبادة : لما همّ يوحنا الرائى أن يسجد للملاك نهره ولم يقبل ذلك لأن العبادة واجبة لله وحده « للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » . « لكن يسوع قبل العبادة له لأنه هو الله ، ولو لم يكن هو لكان مجدفاً وخاطئاً . لكن لأنه هو الله فقد كانت الصلاة له معبودة » (١ كو ١ : ٢) ، « بالحقيقة أنت ابن الله

(مت ١٤ : ٣٣) ، « . . . فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له » (مت ٢٨ : ٩) . « وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله » (عب ١ :٦)، « ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين » (رؤ ١ : ٥-٦) ، « قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة . . . » (رؤ ٥ : ١٢ - ١٣) ، « لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الارض » (فى ٢ : ٩ - ١٠) .

٦ - قيامته : « لقد حكم السنهدريم على يسوع بالموت بحجة أنه مجدف ، إذ عاد فأكد أثناء المحاكمة أنه ابن الله ، وإقامة الآب له من الموت هى تأكيد منه على أن ما أعلنه المسيح عن نفسه هو عين الحق والصواب » . وهذا ما قاله بولس : « وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الاموات يسوع المسيح ربنا » (رو ١ : ٤) ، أى أنه تبين أو أعلن أنه ابن الله بقوة قيامته .

٧ ــ عظمة تأثيره : مع أنه ولد فى مذود حقير مستعار وعاش ولم يكن له أين يسند رأسه ... ومات ولم يكن حوله جيش يدافع عنه . ودفن ولم يكن له مقبرة رخامية فخمة تضم جسده . وارتفع إلى السماء ولم يكن أبرز أتباعه سوى شرزمة غالبيتهم من الصيادين وما شابههم . ومع ذلك فقد غير ذلك النجار الجليلى وجه التاريخ . فيه تؤرخ التواريخ وله تدين أعظم البلدان وصار أعظم امبراطور لأعظم امبراطورية إذ لا حدود لتخومها ولا نهاية لزمنها . لم يرفع سلاحاً ولم يشهر سيفاً فى وجه أحد . لم يخرج على رأس جيش لكى يفرض دينه ومع هذا فقد انتشر دينه فى كل عصر . وتسجد له مختلف الشعوب والطبقـــات والألسنة والأعمار . من أولى الكلمات التى يتعلمها الرضيع هى « يسوع » وأجمل كلمة ينطقها الرجل المسن هى « يسوع » فهو الذى جذب بقوة محبته وبروعة شخصيته ومثالية تعاليمه قلوب الجميع . فيمنح غفراناً لخطايا الماضى ويعتق الضمير من نخسات الذكريات . اسمعوه يقول « ثق يابنى مغفورة لك خطاياك » ويمنح النصرة فى الحاضر فيترنم المؤمن قائلا « فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » ويهب رجاء بشأن المستقبل . فلا نرهب ما يكنه لنا من مخاوف وما يخبئه فى طياته من مفاجآت بل

نقول « أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل » من يستطيع أن يحظى بهذا التأثير لو لم يكن هو الله !!

الشهادة عن لاهوت المسيح: وقد شهد عن لاهوت المسيح له المجد كل من:

١ — الآب: « وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا » (مت ١٧: ٥).

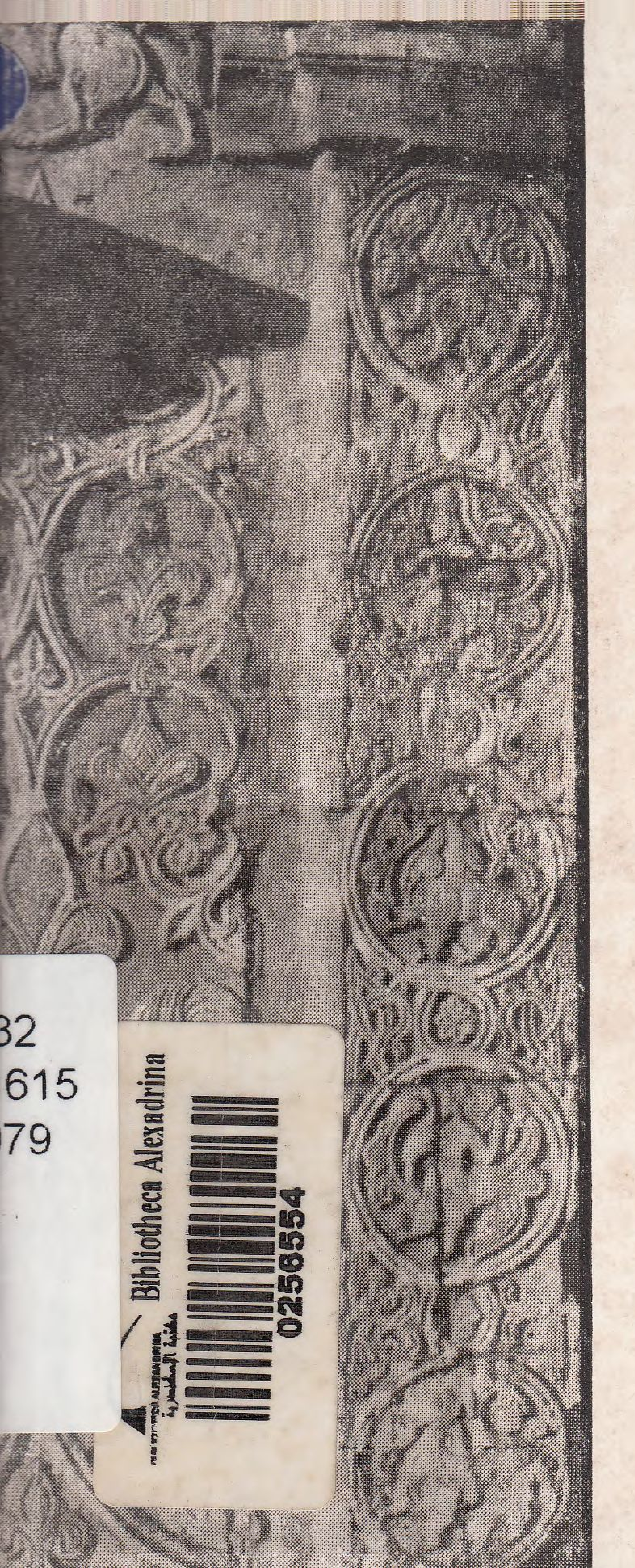
٢ — والملائكة: « فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١: ٣٥). « فقال لهم الملاك ... إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ٢: ١٠، ١١).

وقد جاءت شهاداتهم رغماً عن إرادتهم.

٣ — الشياطين: « وكان فى مجمعهم رجل به روح نجس فصرخ قائلا آه ما لنا ولك يا يسوع الناصرى: أتيت لتهلكنا. أنا أعرفك من أنت قدوس الله » (مر ١: ٢٣، ٢٤). « والأرواح النجسة حينما نظرته خرت له وصرخت قائلة إنك أنت ابن الله » (مر ٣: ١١).

٤ — والأعداء : « ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله » (مر ١٥ : ٣٠) .

هذا هو يسوع المبارك الذى أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا ، وأقيم لأجل تبريرنا ، وأقام عن يمين الآب ليشفع فينا ، وسيأتى لاختطافنا ، وعلينا أن نحبه من قلوبنا وأن نعيش لمجده وأن نشهد عنه إلى أن يأتى فيجدنا مستعدين للقائه .



هذه السلسلة

لمواجهة الأسئلة الكثيرة العميقة التى تواجه دارس الكتاب ومتأمل الحياة بعمق. إنها تحاول بكل أمانة أن تجيب على هذه الأسئلة متوخية الدراسة العلمية الواضحة تحت إرشاد روح الله القدوس.

*

وهذا الكتاب

هو دراسة عن شخصية يسوع المسيح وعمله كما جاءت فى الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد، هدفها قيادة النفوس لأن تقف وجهاً لوجه معه.